

مؤرخون في ذمة الله:
الأستاذة تالية سعدو

~~~~~ أ.د عبد القادر بوباية\*

في مساء يوم الجمعة 23 مارس 2012م، وعلى الساعة السادسة مساء تلقيت مكالمة من الأستاذ وهراني قدور- جامعة تلمسان- ظننت لأول وهلة أنه يريد أن يعلمني بتنظيم جامعة تلمسان لندوة علمية يريد دعوتي إليها، ولكن المفاجأة كانت كبيرة عندما أعلمني بوفاة الأستاذة تالية سعدو في مصر أين كانت متواجدة في تربص علمي قصير المدى، وكانت المفاجأة أكبر عندما أعلمني بطروف وفاتها متأثرة بتسرب الغاز أثناء استحمامها في أرض الكنانة.

لقد ذهبت الأستاذة سعدو إلى مصر لإجراء هذا التربص، وكلها أمل في أن تضيف معلومات إلى ما جمعته من مادة متعلقة بأطروحة الدكتوراه الموسومة بـ"الحياة الاقتصادية في الأندلس على عهد الأمويين (138-422هـ/756-1031م)" التي كانت تحضرها تحت إشرافي منذ سنة 2006م، وكان من المتفق بيننا أن تأتيني بالفصل الأول بمجرد عودتها من تربصها، ولكن الأجل حال دون تحقيق ذلك.

نحن مسلمون ونؤمن بالقضاء والقدر، ولكنني أعتبر أن رئيس جامعة ابن خلدون بتيارت يتحمل جزءا من المسؤولية فيما حدث للأستاذة تالية سعدو بمصر، ذلك أنها قد قدمت رسالة استقبال من المغرب الشقيق، وكان من المفترض أن تتوجه إلى هذا البلد الذي توجد به المادة التاريخية التي تخدم أطروحتها سواء المطبوعة منها أو المخطوطة بصفة أخص، كما أن الأساتذة الذين كانت ستقابلهم في هذا البلد من المتخصصين في التاريخ الأندلسي، وبالتالي فالفائدة كلها موجودة في المغرب الشقيق، ولكن القرار الذي اتخذه رئيس الجامعة، والذي منع بموجبه كل أساتذة جامعة ابن خلدون من التوجه إلى المغرب تطرح أكثر من سؤال، بخاصة وأن الوزارة لم توجه أي تعليمة يبرر بها هذا المنع، وقد حاولت الباحثة ثني عزيمة رئيس

\* - أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي ومدير مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران.

الجامعة بصفتها رئيسة للمجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية إلا أنه أصرّ على منعها ومنع الأساتذة من التوجه إلى المغرب رغم حصولهم على رسائل استقبال من هذا البلد. لقد رحلت الأستاذة سعدو في وقت كنت بحاجة إليها من أجل مساعدتي في استكمال مشروع البحث الوطني حول مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط باعتبارها عضو رئيس فيه، وفي وقت كنت في حاجة إليها في مختبر تاريخ الجزائر الذي كانت عضو في إحدى فرق البحث به، وفي مشروع بحث حول "فئة القرن الخامس الهجري ودور البربر المغاربة فيها"، ولكنني في نهاية المطاف سأضطر إلى العمل بدون وجودها، وهي التي كانت من الباحثين الجادين- وكم هم قليلون- في الجامعة الجزائرية.

كان آخر نشاط لها هو حضورها في الندوة العلمية التي نظمها مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران- حول التاريخ والمؤرخين الجزائريين عبر العصور يومي 7 و 8 ديسمبر 2011 بقسم التاريخ، حيث أشرفت على تنظيم الندوة، وتكفلت بإنجاحها من خلال نشاطها الدؤوب طيلة يومين إلى درجة أنها كانت تنفق من مالها الخاص عندما احتاج المحاضرون إلى تناول بعض المشروبات الساخنة والحلويات خلال فترات الاستراحة، وألحت على القيام بذلك.

لقد كانت الأستاذة تالية سعدو مثالا للباحثة الجادة والمؤمنة بضرورة الارتفاع بمستوى الجامعة الجزائرية وبالبحث العلمي بها إلى مصاف الدول المتقدمة، وكانت حريصة على المشاركة في هذا المجهود من خلال انتمائها إلى مختبر تاريخ الجزائر ومشاريع البحث المختلفة التي اقترحتها منذ مناقشتها لمذكرة الماجستير في سنة 2005م.

وكانت قبل ذلك قد ساهمت في تكوين آلاف أبناء الجزائر حيث اشتغلت أستاذة لمادة العلوم الاجتماعية بثانوية الحياة- وهران- منذ حصولها على شهادة الليسانس في التاريخ من معهد التاريخ- جامعة وهران- سنة 1985م.

لقد كانت الأستاذة سعدو أختا بالنسبة لأقرانها من الأساتذة، وأماً بالنسبة لطلبتها في جامعتي ابن خلدون بتيارت وجامعة سعيدة، والكل يشهد لها بالاستقامة والجدية والأخلاق الحسنة.

رحمك الله أختي العزيزة، وأسكنك فسيح جناته، وألهم ذوك الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأستاذة تالية سعدو في سطور:

الاسم واللقب: تالية سعدو

تاريخ ومكان الميلاد: 30-05-1959 في سعيدة.

عنوان العمل: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون- تيارت.

الرتبة: أستاذة مساعدة أ في تاريخ الغرب الإسلامي.

موضوع الدكتوراه (في طور الإنجاز): الحياة الاقتصادية في الأندلس على عهد الأمويين (138-422هـ/756-1031م)

الشهادات العلمية:

| نوعها   | تخصص                | تاريخ<br>عليها | الحصول | المؤسسة     | ملاحظة   |
|---------|---------------------|----------------|--------|-------------|----------|
| ليسانس  | تاريخ               | 1985           |        | جامعة وهران | بدون     |
| ماجستير | تاريخ العصور الوسطى | 2005/11/26     |        | جامعة وهران | مشرف جدا |

\* النشاطات البيداغوجية:

- أستاذة مادة العلوم الاجتماعية في التعليم الثانوي- ثانوية الحياة- وهران من 1985 إلى 2006م.

- أستاذة مساعدة ب في تاريخ المغرب الإسلامي- معهد التاريخ- جامعة ابن خلدون تيارت- منذ سبتمبر سنة 2006م.

- أستاذة مستخلفة بمعهد العلوم السياسية- جامعة سعيدة خلال السنة الجامعية 2009-2010.

\* النشاطات العلمية:

\* الملتقيات الدولية:

- المشاركة في الملتقى الدولي حول مدينة وهران المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف يومي 2 و3 أبريل 2008م بجامعة العلوم والتكنولوجيا- وهران- بمحاضرة عنوانها "مدينة وهران من خلال المصادر العربية".

- المشاركة في الملتقى الدولي حول شخصية الشيخ يحي العبدلي المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف يومي 19 و 20 ماي 2010م في بجاية بمحاضرة عنوانها "تلامذة الشيخ يحي العبدلي: الشيخ أحمد زروق نموذجاً".

\* الملتقيات الوطنية:

- المشاركة في الملتقى الوطني المنظم من طرف جامعتي أحمد دراية -أدرار- وابن خلدون- تيارت- يومي 14 و 15 أبريل 2009م بمحاضرة عنوانها " العلاقة بين منطقة توات ومراكش على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي".

- المشاركة في الملتقى الوطني حول التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة تيارت المنظم من طرف جامعة ابن خلدون بتيارت يومي 4 و 5 ماي 2009م بمحاضرة عنوانها: "مدينة تاهرت من خلال المصادر الجغرافية العربية".

- المشاركة في الملتقى الوطني الرابع حول تاريخ الأمازيغ المنظم من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمدينة بجاية يومي 14 و 15 جوان 2009م بمحاضرة عنوانها: "مساهمة البربر في الحركة الفقهية بالعدوة الأندلسية".

- المشاركة في الملتقى الوطني حول التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة تيارت المنظم من طرف جامعة ابن خلدون بتيارت يومي 13 و 14 أبريل 2010م بمحاضرة عنوانها: "مساهمة المرأة الإباضية في الحركة الفكرية الإباضية بتاهرت الرسمية".

- المشاركة في اليوم الدراسي المنظم من طرف جامعة ابن خلدون بتيارت يوم 10 ماي 2011م بمداخلة موسومة بـ"الدور العلمي والثقافي لتاهرت على عهد الرستميين".

- المشاركة في الملتقى الوطني الذي نظّمته بلدية عشعاشة وجمعية نشاطات الشباب إقرأ بالتعاون مع مخبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران حول "جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر: معازر جبال الظهرة نموذجاً" في مدينة عشعاشة (ولاية مستغانم) يومي 18 و 19 جوان 2011م بمحاضرة عنوانها: "محرقة أولاد رياح من خلال المجلة الإفريقية".

\* المقالات الوطنية:

1- مدينة تاهرت من خلال المصادر الجغرافية- مجلة الخلدونية- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- عدد خاص- أكتوبر 2009م- صص 34-42.

2- الحركة الفكرية في الدولة الرستمية ومساهمة المرأة فيها- مجلة عصور الجديدة- مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران- العدد 1- ربيع 1432هـ/2011م- صص 63-75.

\* نشاطات البحث العلمي:

1- رئاسة المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة ابن خلدون- تيارت منذ عام 2010م.

2- عضو في مشروع بحث وطني حول موضوع "دور البربر في تاريخ وحضارة الأندلس" (2008-2010م).

3- عضو في مشروع بحث وطني حول "مصادر ومراجع المغرب الأوسط في العصر الوسيط" منذ 2 ماي 2011م.

4- عضو في فرقة بحث حول التراث التاريخي الجزائري في مختبر بحث وطني عنوانه: "تاريخ الجزائر"- جامعة وهران- منذ 2008م.

5- عضو في مشروع بحث وطني حول موضوع "فتنة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بالأندلس ودور البربر المغاربة فيها" منذ 2012/01/01م.

\* النشاطات البيداغوجية:

| السنة الجامعية | المؤسسة الجامعية | الكلية أو المعهد                  | محاضرة      | تطبيق                                                                    |
|----------------|------------------|-----------------------------------|-------------|--------------------------------------------------------------------------|
| 2006-2007      | ج. تيارت         | كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية | تاريخ العرب | تاريخ العرب+ ما قبل التاريخ                                              |
| 2007-2008      | ج. تيارت         | كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية | تاريخ العرب | تاريخ العرب+ جغرافيا عامة                                                |
| 2008-2009      | ج. تيارت         | كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية | تاريخ العرب | تاريخ العرب+ جغرافيا عامة                                                |
| 2009-2010      | ج. تيارت         | كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية | تاريخ العرب | قضايا عربية<br>الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي<br>تاريخ الفكر السياسي |
| 2010-          | ج. تيارت         | قسم التاريخ                       | صدر         | قضايا عربية                                                              |

|           |          |             |                                                |
|-----------|----------|-------------|------------------------------------------------|
| 2011      |          | الإسلام     | الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي             |
| 2011-2012 | ج. تيارت | قسم التاريخ | قضايا عربية الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي |

\* عرض وتقديم مذكرة الماجستير:

العنوان: الجيش الأندلسي على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)

تاريخ أول تسجيل: 2001م.

تاريخ المناقشة: 2005/11/26م.

مكان المناقشة: قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران.

بدأت الباحثة مذكرتها بمقدمة جاء فيها "لقد استمر تواجد المسلمين في الأندلس نحو ثمانية قرون، واشتهر خلالها العديد من الأمراء والخلفاء الذين كانت لهم العديد من الإنجازات والمآثر، ومن أبرز الشخصيات عبد الرحمن الناصر لدين الله"، ثم ذكرت الظروف التي وصل فيها الناصر إلى سدة الحكم، وبينت كيف تمكن من تكوين جيش قوي نجح بفضلته في إخماد نيران الفتنة، وتوحيد الأندلس من جديد، وفرض هيبتها على ممالك النصارى المنتشرة في الشمال.

ذكرت الباحثة الهدف من اختيارها لهذا الموضوع، وهو محاولة إبراز أهم التغيرات التي طرأت على القوات البرية والبحرية على عهد عبد الرحمن الناصر.

إشكالية البحث:

ما هي الدوافع الحقيقية التي جعلت الخليفة الناصر يهتم بالجيش ويولي هذه العناية الفائقة؟

ما هي الأهداف التي سعى إلى تحقيقها من خلال بناء القواعد البحرية؟

ما هو الدور الذي لعبته تلك القواعد في الدفاع عن السواحل الأندلسية؟ وهل كانت سياسة

الناصر الحربية ناجحة في إخضاع الثوار والمنتزعين في الداخل، ومواجهة التكالب المسيحي

بالخارج؟ وإلى أي مدى نجح في ذلك؟

ثم ذكرت الباحثة الرسائل الجامعية والدراسات غير الأكاديمية التي تطرقت إلى موضوع الجيش، وتوصلت إلى أن هذا الموضوع لم يحظ في المغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة بدراسة متخصصة وواسعة مقارنة بالمواضيع السياسية والاقتصادية والأدبية، وهو العامل الذي شجع الباحثة على الخوض في غماره.

قسمت الباحثة عملها العلمي إلى مدخل وثلاثة فصول، تناولت في المدخل الجيش في الأندلس قبل سنة 300هـ/912م، وتحدثت فيه عن اهتمام الأمراء الأمويين بتنظيم الجيش ودعمه، وتقويته بالأسلحة والرجال، وحاولت الوقوف عند مجهود كل واحد من هؤلاء الأمراء (صص2-21).

أفردت الفصل الأول الموسوم بـ"عوامل تطوير عبد الرحمن الناصر لنظام الجيش" لدراسة عوامل تطوير عبد الرحمن الناصر لنظام الجيش، ومنها التهديد النورماندي المتواصل على سواحل الأندلس الغربية والجنوبية الغربية، والرغبة في تقوية مركزه السياسي، ومواجهة التمردات الداخلية التي قام عمال الكور، والأخطار الخارجية المتمثلة في هجمات النصارى على دار الإسلام من جهة، واستفحال الخطر الفاطمي على السواحل الجنوبية والشرقية للعدوة الأندلسية من جهة أخرى (صص23-57).

وتناولت في هذا الفصل العناصر التالية:

- العوامل الداخلية

- العوامل الخارجية: أ- الخطر المسيحي في الشمال.

ب- الخطر النورماندي.

ج- الخطر الفطمي.

وخصّصت الباحثة تالية سعدو الفصل الثاني الموسوم بـ: "تنظيم الجيش" لموضوع تنظيم الجيش بقسميه البري والبحري على عهد عبد الرحمن الناصر، وتناولت فيه أهم التنظيمات والمناصب والخطط العسكرية، حيث تحدثت عن القيادة الجند وصاحب الخيل وصاحب اللواء وصاحب العسكر والعارض والطبالين وغيرهم، كما تناولت في هذا الفصل الأساليب القتالية والحملات العسكرية والصوائف، ثم عرّفت بالأسلحة والزي الحربي، كما تعرّضت فيه أيضا لتنظيم الجيش البحري من قيادة ونواتية ورؤساء وقطع الأسطول، وأهم دور صناعة السفن والقواعد البحرية، وأنهت الفصل بالحديث عن أعطيات الجند (صص59-119).

وعالجت في هذا الفصل العناصر التالية:

أولاً: الجيش البري: أ- التنظيمات والمناصب العسكرية والخطط.

ب- التنظيمات التعبوية والمراسم.

ثانياً: البحرية الإسلامية على عهده وأعطيات الجند.

وتناولت الباحثة في الفصل الثالث الموسوم بـ"نتائج سياسة الناصر الحربية" أبرز نتائج السياسة الحربية لعبد الرحمن الناصر، ومنها استعادة الوحدة السياسية للدولة، ومقارعة خصومها في الخارج، وبخاصة منها ممالك ليون ونبرة، إضافة إلى التصدي للخطر الفاطمي الشيعي الذي كان يهدد سواحل العدو الأندلسية (صص 121-153).

وعالجت في هذا الفصل العناصر التالية:

- استعادة الوحدة السياسية.

- مقارعة الخصوم الخارجيين: أ- الخطر الفاطمي.

ب- الخطر المسيحي.

وأنتهت الباحثة دراستها بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

\* نجاح عبد الرحمن الناصر في القضاء على ضعف العدو الأندلسية، وتخليصها من الأخطار المحدقة بها وجمع شتاتها، وذلك من خلال الأعمال التالية:

- إصلاح الجيش الذي أنهكه التصدي للثورات والتمردات، والعمل على تجديده وتدعيمه من خلال جلب أفراد الجند من مختلف أنحاء الأندلس، واستكثار الأسلحة والذخائر.

- الاعتماد على الصقالبة، وتعيينهم في المناصب العليا في القصر والإدارة والجيش.

- العناية بالبحرية ورفع مستواها لكي تتمكن من منافسة خصوم الأندلس في مجال الصراع البحري، وذلك من خلال تقوية الأسطول، والإكثار من بناء السفن الحربية، وإنشاء عدد كبير من دور الصناعة البحرية، وبذلك كان الناصر المؤسس الحقيقي للقوة البحرية الأندلسية التي تمكن الأمويون بفضلها من السيطرة على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق، ومنها سبتة ومليلة.

- القضاء على الفتن الداخلية والثورات التي كان العرب والبربر والمولدون يتزعمونها معتمداً في ذلك على سياسة مرنة اتسمت بالقوة والحزم حيناً وباللين والاعتدال حيناً آخر، وبفضل

هذه السياسة استعاد الاستقرار والأمن، ووجد الجبهة الداخلية، وبخاصة بعد قضائه على ثورة المولدين بقيادة عمر بن حفصون التي تعتبر أطول ثورة عرفتها العدو الأندلسية. - مواجهة نصارى الشمال الذين أصبحوا يشكلون خطرا على الوجود الإسلامي في الأندلس، وبخاصة بعد أن توحدت جهود ملوك ليون ونبارة، والنجاح في التغلب عليهم وإخضاعهم لسلطانه.

- مواجهة الخطر الفاطمي الذي كان يهدد الجانب السياسي والديني لقرطبة في آن واحد، وتبني استراتيجية خاصة اقتضت استعمال السياسة من خلال إضفاء لقب الخلافة على نفسه والتزّي بزيتها سنة 316هـ/928م، ومحاربه عسكريا بشكل غير مباشر من خلال اصطناع ملوك ورؤساء القبائل البربرية في بلاد المغرب ليكونوا حلفاء له وأعوانا يضعفون نفوذ خصومه العبيدين، وبذلك نجح في رد خطرهم.

وخلصت الأستاذة تالية سعدو في آخر بحثها إلى التأكيد على نجاح عبد الرحمن الناصر في إقرار الأمن بالأندلس، وتخليص بلاده من الفوضى التي أنهكتها، ورد كيد الأعداء وبخاصة منهم الإسبان والعبيدين، ونتيجة لكل ذلك عرفت الأندلس على عهده رخاء وازدهارا كبيرين حيث ارتفعت مداخيلها وزادت إيراداتها، وتكامل للأندلس القوة والرخاء، وسادها الاستقرار والسلام في عهده، وذلك- كما تقول الباحثة في نهاية بحثها- بفضل: "حكيمته في التسيير، وصرامته في القيادة، ومرونته في التعامل مع الأحداث الداخلية، وصلابته في مواجهة الخطر الخارجي، وجمعه بين الجهاد ومواجهة الأعداء، وبين إقامة الدولة وتقوية مؤسساتها، وتوسيع إيراداتها".

وقد اعتمدت الباحثة تالية سعدو في معالجتها لفصول البحث على المنهج التاريخي المقارن حيث عمدت إلى مقارنة النصوص التاريخية المختلفة، وتحليلها من أجل الوصول إلى وضعية الجيش الأندلسي على عهد عبد الرحمن الناصر.

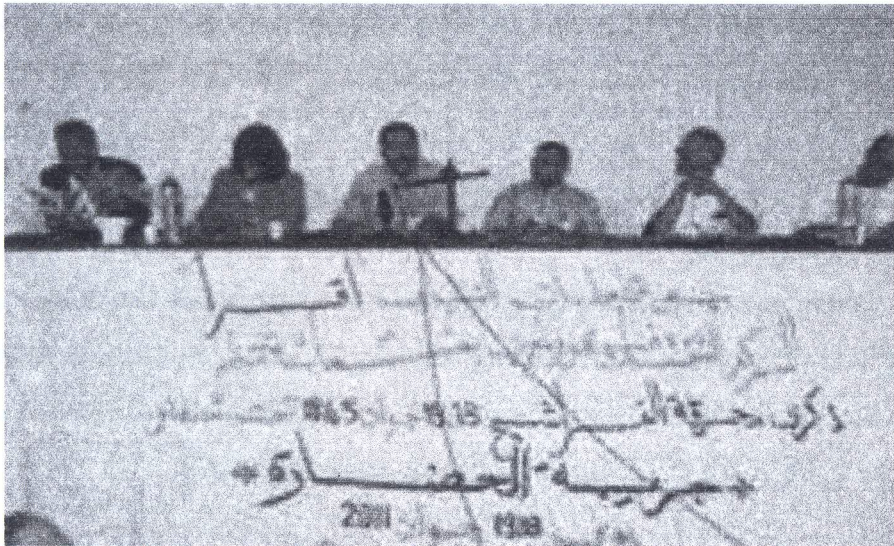
ومن أجل التحكم في مختلف فصول البحث، ومعالجته بالشكل اللائق اعتمدت الباحثة على عدد من المصادر العربية المتخصصة، ومن أبرزها تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر ابن القوطية المتوفى سنة 367هـ/977م، والمقتبس في أخبار الأندلس لابن حيان القرطبي المتوفى سنة 469هـ/1076م، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي المتوفى سنة 712هـ/1312م، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب لسان الدين المتوفى سنة 776هـ/1374م، وكتاب أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام لنفس المؤرخ،

وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لمؤلفه عبد الرحمن ابن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م.

ومن كتب الجغرافيا التي اعتمدت عليها الباحثة المسالك والممالك لأبي عبيد البكري المتوفى سنة 487هـ/1094م، وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي المتوفى سنة 478هـ/1085م، ومعجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ/1228م، وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري محمد بن عبد الله المتوفى سنة 866هـ/1461م.

كما اعتمدت الباحثة على كتب التراجم، ومنها تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وجذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي، وبغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس للضبي، وكتب الأدب، ومنها كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للمقري أبو العباس أحمد، كما اعتمدت على كتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي وكتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي، إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى بلغ عددها مائة واثنين وعشرين مؤلفاً.

وضمّت الباحثة تالية سعدو مذكرتها عدداً هاما من الملاحق من خرائط ورسوم توضيحية لملايس الجند وأسلحته، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية المستعملة في الدراسة.



آخر نشاط علمي شاركت فيه الأستاذة سعدو تالية- إحياء ذكرى محرقة غار الفراشيش